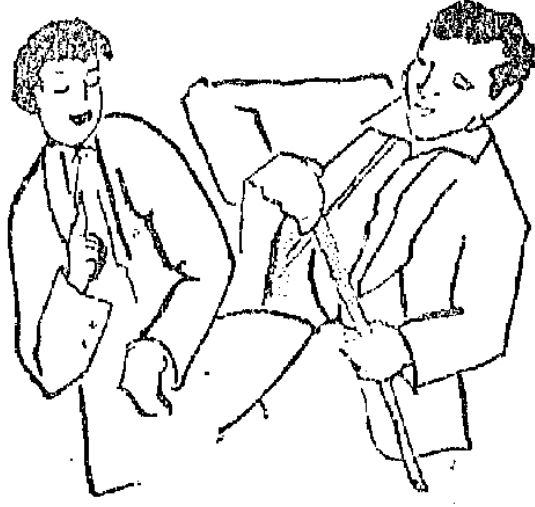




ألقى المستر تويدي نظرة عابرة على
الطلاب . . وتوقفت عيناه برهة أمام
الأوسطى عبده ، فقد كان الوجه جديداً على
عينيه ، وكان منظر الأوسطى عبده برقبته
الطويلة ووجهه الأعجف وعينيه المذعورتين ،
منظراً غريباً .

الأوسطى عبده والمستر تويدي ..

لَا أَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ حَدِيثًا يَشْغُلُ النَّاسَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
كَحَدِيثِ الْغَلَاءِ ، وَعِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ عَنِ
الْغَلَاءِ فَلَا يَخْلُو حَدِيثُهُمْ مِنْ مَقَارَنَةِ بَيْنِ أَسْعَارِ الْيَوْمِ وَأَسْعَارِ
الْأَمْسِ ، وَضَرْبِ الْأَمْثَلَةِ الْمُتَعَدِّدَةِ عَلَى ارْتِفَاعِهَا الْفَاحِشِ
الْآنَ وَانْخِفَاضِهَا الْعَجِيبِ فِيهَا مَضَى .

وَلَمْ يَكُنِ الْمَجْلِسُ الَّذِي ضَمَّ ثَلَاثَنَا بِالْأَمْسِ لِيَخْتَلِفَ عَنْ
غَيْرِهِ مِنْ مَجَالِسِ النَّاسِ ، فَسَرَعَانِ مَاسَاقِنَا الْحَدِيثِ
ذَوِ الشَّجْوَنِ إِلَى ذِكْرِ الْغَلَاءِ ، وَبَيْنَ عَشِيَةِ وَضُحَاهَا انْقَلَبَ
الْحَدِيثُ إِلَى مَبَارَاةٍ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَلَةِ لَغَلَاءِ الْيَوْمِ وَرَخْصِ
الْأَمْسِ ، وَانْهَالَتِ الشَّكْوَى مِنَ النُّفُوسِ مَرِيرَةً ، وَالسَّخَطُ
لَا ذَعَا حَارًّا .

قَالَ أَحَدُنَا وَهُوَ يَهْزُ رَأْسَهُ أَسْفَاً :

— لَقَدْ أَصْبَحَتِ الْحَيَاةُ لَا تَطَاقُ . . لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ شَيْءٌ
مُحْتَمَلًا ، لَا مَأْكُلٌ وَلَا مَلْبَسٌ . . مَنْ يَصْدُقُ أَنِّي مِنْذُ أُسْبُوعٍ
أَرَدْتُ أَنْ أَفْصَلَ بَدَلَةً عِنْدَ « جَبَايَ » التَّرْزِي . . فَطَلَبَ مِنِّي
خَمْسَةَ عَشَرَ جَنْبِيًّا ، لِلتَّفْصِيلِ فَقَطْ ١٩
فَسَأَلَهُ آخِرَ مُتَعَجِّبًا :

— خَمْسَةَ عَشَرَ جَنْبِيًّا !! اللَّهُ يَرْحَمُ زَمَانَ ، عِنْدَمَا كَانَتْ

البذلة لا تكلفنا أكثر من مائة وخمسين قرشاً قشاً ،
وتفصيل !

ورد عليه الأول ، وهو مهندس معروف :
— إى والله . . مائة وخمسين قرشاً ، كانت أقصى
ما تتكلفه البذلة ، وكنا نستكثرها على التزى وعلى جيوبنا
فنأبى أن ندفعها إلا بالتقسيط .
وضحك الأصدقاء . . .

واندفع صاحبنا يقهقه وقد تذكر حادث مطاردة التزى
لصديقه أحمد أبو الفضل . وأخيراً تمالك نفسه وأخذ يقص
الواقعة فقال :

كان ذلك منذ خمسة وعشرين عاماً ، وكنا وقتذاك
طلبة فى المهندسخانة ، وقد اعتدنا أن نجتمع فى بيت صاحبنا
أحمد أبو الفضل بشارع النواوى فى البغالة حيث كان بالبيت
حجرة منفصلة كنا نأوى إليها للسمر والاستذكار .

و ذات ليلة وقد انتظم عقد ثلثنا داخل الحجرة ، وبدأنا
نستعد لمواصلة الاستذكار . . إذ طرق الباب طارق .
وصاح أبو الفضل آمراً بصوته الجمهورى « أدخل » ظاناً أن
الطارق هو « عم محمد » البواب يحمل إلينا القهوة أو الشاى .
وهنا أطل علينا وجه شاب به كثير من دعر وكثير من

نجل ، وجه نحيل أعجف بارز عظام الوجنتين ، غائر العينين ، وبدأ صاحب الوجه يدفع الباب ويتقدم في الحجرة رويداً رويداً حتى مثل أمامنا . وسألناه عما يريد فقال :
— أنا الأسطى عبده التزى .

— تشرفنا يا أسطى عبده .

وانهالت عليه التحيات والسلامات من هذا النوع التهكمي .

فلما انتهينا من تحياتنا الساخرة . . بدأ الرجل في شرح مطالبه وتفسير زيارته ، ففهمنا منه أنه قد فتح حانوتاً للتفصيل على ناصية شارع سليم ، وأنه قد مضى عليه شهر والحالة راكدة ولم يدخل حانوته أحد ، وأنه لم يستطع أن يحصل حتى على إيجار الدكان . . ولما كنا « الأفندية » الوحيدين الموجودين في (الحتة) فقد لجأ إلينا عسى أن نجبر بخاطره وأن (ننفعه) !

ولم يكد الأسطى عبده ينتهي من شرح حالته واستعطاف قلوبنا حتى قرن القول بالفعل وهجم علينا وفي يده (المازورة) يأخذ المقاسات المطلوبة لكل منا ويدوّنّها في نوتة صغيرة أخرجها من جيبه . . وفي غمضة عين كان الرجل قد أخذ مقاساتنا جميعاً .

ونظر أبو الفضل إلى الأسطى عبده نظرة رثاء وعطف
وهو يضع المازورة في جيبه وقد أشرق وجهه بالأمل
وابتسم ابتسامة الفوز .

وأخذ أبو الفضل يشرح له قائلاً :

— بقي اسمع أما أقولك يا أسطى عبده ، ماتت عبث
نفسك معنا . . إحننا البدله بتأخذ لها على جتنا خمس سنين
خدمة ، زى العسكرية بالضبط ، وبعدين لما تطالع رديف نبقى
نفكر نفصل بدلة جديدة ، ودلوقت أقدم بدلة على أى
واحد منا ما تزيدش عن سنتين خدمة . يعنى بعد ثلاث سنين
ربنا يدبك العمر وتيجى تزورنا إن شاء الله .

— كل خمس سنين بدله ؟ إزاي يا بيه الكلام ده ! دا
انتم أسياد الناس . . . أنا حاعمل لكل واحد منكم بدلة
تليق بالمقام .

— المقام محفوظ يا أسطى . . بس المسألة إن العين
بصيره واليد قصيره . إحننا قادرين نجيب علبة سجائر لما
حانفصل بدله ؟

— دى الحسبة كلها مائة وخمسين قرشاً يا بيه ، مش
ضرورى تدفعهم مرة واحدة . إدفع اللى تقدر عليه . . .
إدفع خمسين قرش كل شهر ، أو خمسة وعشرين .

وقبل أن نجيب الرجل ، ألقى علينا تحية سريعة ثم
أولانا ظهره وانصرف هارباً .

ولم يمض أسبوع حتى كانت البذلات الخمس مستوية
على أجسادنا .

وأقول الحق أنها كانت جيدة التفصيل ، فاخرة القماش
وأننا رحنا نختال بها في المدرسة كأية ثلة ارسقراطية
وأن الزملاء ظنوا أننا عثرنا على كنز .

وعندما حل أول الشهر بدأ الأسطى عبده التحصيل ،
فأعطاه البعض وتهرب البعض الآخر . واستمر فى التحصيل
شهرآ بعد شهر ، فكان كل منا يعطيه شهرآ ويزوغ شهرآ ،
إلا واحداً منا كان يزوغ على طول الخط فلم يعطه من ثمن
البذلة مليماً واحداً .

أجل ، لقد كان أبو الفضل أكثرنا اختيالاً بالبذلة ،
وأكثرنا هرباً من الرجل ، وفراراً من الدفع .

كان لأبى الفضل مطالب خاصة كثيرة تستنفد كل
مصرفه ، فقد كان مدمناً على السجائر ، وكانت له
(غطسات) فى « أمكنة ما » تستنفد منه ما تبقى من النقود
بعد ثمن السجائر ، ولذا فلم يحدث قط أن توفر فى جيبه
ما يستطيع أن يسدد منه قسط البذلة .

ولم يكن الأسطى عبده من النوع الذى يأس أو يكل ، بل كان ملحاحاً مثابراً يطارد صاحبنا فى كل حل وترحال . . لا تكاد الشمس تؤذن بالشروق حتى يتخذ مكانه على باب البيت ، فيظل مرابطاً حتى الضحى ، وحتى يكتشف أن أبا الفضل قد هرب من إحدى النوافذ . فإذا ما كان اليوم التالى رابطاً تحت النافذة ، فيفر أبو الفضل من الباب ، وهكذا يستمر الأسطى عبده فى المطاردة حائراً بين النافذة والباب حتى يصمم أخيراً أن ينقل ميدان المطاردة إلى المدرسة ، فيفاجئ أبا الفضل ذات صباح أمام باب المدرسة .

وما زلت أذكر ذلك اليوم جيداً وقد أشرفنا على المدرسة وسار أبو الفضل بيننا يعلننا مفاخرأ أنه قد عرف كيف يدوخ الأسطى عبده حتى يئس منه ومن مطاردته له وأنه اليوم قد خرج من البيت فإذا بالحصار قد فك ، وإذا بالعدو قد عاد إلى قواعده فى شارع سليم !

ولم يكد أبو الفضل يتم حديثه حتى برز لنا الأسطى عبده من وراء شجرة ضخمة بجوار باب المدرسة كان يختفى وراءها .

وكان هجومه على أبى الفضل مفاجئاً ، أصابه بغير قليل من الاضطراب والارتباك ، ولكنه سرعان ما تمالك نفسه

وهذا روعه ، ومد يده للأسطى عبده مرحباً . . وقال
فى بشاشة :

— أهلا . . أهلا الأسطى عبده ، فىنك من زمان
ماحدث بيشوفك . . أنا كنت لسه جايب سيرتك عشان
عايز أديك قسط البدلة . أنا محضر ولك فى البيت . ابقى فوت
على فى أى وقت .

— بيت إيه يابيه ! دا انت دو ختنى تحت البيت وحيرتنى
من الباب للشباك . دا انت مقابلتك نادرة من نواذر الزمن .
أنا حافضل معاك لغاية مانرجع البيت سوا .

— مفيش لزوم تعطل نفسك يا أسطى عبده . . أنا
ماحبش أعطلك .

— أبدأ ، أبدأ ، مفيش عطله أبدأ ، حاستنا لغاية
مانرجع سوا .

— نرجع سوا ؟

— أيوه . . نرجع سوا .

ولم يكن أبو الفضل ليغلب على أمره ، فوافق الرجل
على أن يبقى معه ، وسأله أن ينتظره خارج المدرسة آملا
أن يخذعه ويستطيع (التزويغ) من باب آخر ، فقال له
ببساطة :

— طيب يا أسطى عبده ، أمرك . . مادام عايز تستثنائي
خليك مستنى . أقعد على البوابة لغاية ما اخرج .
— بوابة مين ؟ إيدى فى إيدك . . أنا مش حاخليك
تتورب عن عيني . دانت لقالك مش بالساهل . أنا مافرطش
فيك أبداً بعدما التقيتك .

وكنا قد وصلنا إلى باب المدرسة واجتزنناه ودلف معنا
الأسطى عبده .

ورأى أبو الفضل أن من الخير أن يتجنب الفضيحة
وألّا يحاول حجز الرجل على الباب بالقوة ، فتركه يدخل
معنا . . .

ووصلنا إلى الفصل ، ودخلنا والأسطى عبده فى أعقابنا
وجلسنا على التخت ، وبجوار أبي الفضل جلس الأسطى
عبده ، مصرأ على أن لا يتركه لحظة واحدة .

وكانت الحصة الأولى عندنا فى ذلك اليوم رياضة ، وكان
مدرس الرياضة وقتذاك فى المهندسخانة هو المستر تويدي .
وكان الرجل نظامياً جاداً . وكانت حصته هى الوحيدة التى
نجلس فيها منتظمين ويجلس كل طالب فى مكانه المخصص له
وفى نمرة التى أعطاهما له المستر تويدي .

وكانت الحصة تبدأ فى التاسعة ، ومن عادة المستر تويدي

أن يكون في الفصل في بدء الحصة بالضبط فيغلق الباب وراه بعد دخوله . . ثم يفتحه في الساعة التاسعة وخمس دقائق ليدخل المتأخرون ويغلقه بعد ذلك فلا يفتحه إلا في نهاية الحصة ، وهكذا كان يعطى للطالب فرصة للتأخير خمس دقائق أما بعد ذلك فلا يقبله في حصته .

وفي الساعة بالضبط كان المستر تويدي يجتاز باب الفصل ، وكان كل منا قد جلس في مكانه صامتاً ساكناً لا ينبس ببنت شفة واضعاً أمامه على الدرج الكتب المطلوب استعمالها في الحصة .

وكان الوحيد الذي لا يضع أمامه كتباً هو الأسطى عبده التري ، وقد خشي أبو الفضل أن يكشف المستر تويدي أمره فأزاح كتبه من أمامه ووضعها أمام الأسطى عبده . . .

وهكذا جلس الأسطى عبده على مقعده - كأحد الطلبة - جاداً صامتاً وأمامه الكتب المطلوبة في درس التفاضل والتكامل .

وكان المستر تويدي انجليزياً مهيب المنظر ، أحمر الوجه أشعث الشعر ، فارغ القامة ، يزيد من مهابته منوكل يضعه على إحدى عينيه .



ولست أشك في أن الأسطى عبده قد تملكه من منظر
المستر تويدي جزع شديد ، فقد رأيت يحمق فيه وقد اصفر
وجهه ، وأحس بمدى حرج مركزه .

وألقي المستر تويدي نظرة عابرة على الطلاب ، وتوقفت
عيناه برهة أمام الأسطى عبده فقد كان الوجه جديداً على
عينيه ، وكان منظر الأسطى عبده برقبته الطويلة ووجهه
الأنحف وعينه المذعورتين اللتين تترجرجان في وجهه . .
منظراً غريباً .

ولكن المستر تويدي لم يقل شيئاً ، فقد ظن الأسطى
عبده طالباً جديداً ولا سيما أن كتبه كانت موضوعاً أمامه .
وكان من الممكن أن يمر الدرس بسهولة على الأسطى
عبده لو أن المستر تويدي كان كبقية خلق الله من مدرسي
المهندسخانة الذين يلقون المحاضرة على الطلاب ثم يغادرون
الفصل بسلام . . .

ولكنه لم يكن كذلك ، بل كان يأبى إلا أن يبدأ درسه
بالسؤال في الدروس السابقة ماراً على الطلبة ملقياً على كل
واحد منهم سؤالاً بالدور .

وبدأ المستر تويدي أسئلته في التفاضل والتكامل
ووصل الدور إلى الأسطى عبده .

وانطلاق السؤال من المستر تويدي الأحمر المهاب
ذو المنوكل ليستقر على الأسطى عبده الغلبان السكحيان الذي
ينتفض ويرتجف .

ووقف الأسطى عبده الترزي ليحيب على سؤال عويص
في التفاضل والتكامل .

وكانت إجابة السؤال على ما أذكر (د . س) على
(د . ص) ، وكانت بطون الطلبة تصطخب بالضحك .
وبدأت المحاولات لانقاذ الأسطى عبده فأخذت الأصوات
تهمس من حوله بالإجابة قائلين له :

— شد حيلك يا أسطى عبده . . ما تخافش . . المسألة
بسيطة خالص . . قول (د . س) على (د . ص) .

ولكن المسألة لم تكن بالنسبة للأسطى عبده بسيطة
قط ، ولم يستطع ذهنه أن يقتنع أو يفهم حكاية (د س) على
(د ص) . . ولكنه أمام نظرات المستر تويدي النارية
المصوبة إليه ألقى الإجابة حسب ما يمكنه أن يفهمها ، فقال
وهو يرتجف :

— دى س ودى ص .

واقتنع المستر تويدي وأشار له بالجلوس ، وظلت
الأسئلة تلف ثم تستقر مرة أخرى على الأسطى عبده

حتى (نشف دمه) وبقى كريشة في مهب الرياح ، وكانت
تتعالى الأصوات هامة حوله بالإجابة فيلتقطها كالبيغاء
ويطلقها متوكلا على الله ثم يرتقى على المقعد غارقاً في عرقه ،
حتى انتهت الحصّة ، وانتهى معها الأسطى عبده .

إي والله . . لقد أغمى على الأسطى عبده بعد خروج
المستر تويدي ، وعندما أفاق بكى بكاء حاراً ، وأقسم يمينا
ألا يدخل مدرسة المهندسخانة بعد ذاك ، وألا يطالب
أبو الفضل بقسط البذلة .

وأثر فينا بكاء الرجل . فاكتمبنا كل منا بخمسة قروش
وجمعنا له ثمن البذلة .

وكانت آخر مرة يحاول الأسطى عبده التفصيل لنا
بالإكراه .

